# تخاصم الأتباع والشعوب مع قادة الضلال والفساد يوم القيامة. وفي الناريلعن بعضهم بعضا، وينقلب الصديق عدوا، ويتَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا

قال الله تعالى: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّـهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ البقرة.

\* عَنِ الرَّبِيعِ : " إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا " قَالَ : تَبَرَّأَتِ الْقَادَةُ مِنَ الْأَتْبَاعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

\* قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قُلْتُ لِعَطَاءٍ : "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا " قَالَ : تَبْرَأَ رُؤَسَاؤُهُمْ وَقَادَتُهُمْ وَسَادَاتُهُمْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ .

\* قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ الْمُتَّبَعِينَ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ يَتَبَرَّأُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ حِينَ يُعَايِنُونَ عَذَابَ اللَّهِ . وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ مِنْهُمْ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ ، بَلْ عَمَّ جَمِيعَهُمْ . فَدَاخِلٌ فِي ذَلِكَ كُلُّ مَتْبُوعٍ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالضَّلَالِ أَنَّهُ يَتَبَرَّأُ مِنْ أَتْبَاعِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُ عَلَى الضَّلَالِ فِي الدُّنْيَا ، إِذَا عَايَنُوا عَذَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ. [تفسير الطبري ج 3 ص: 287 ]

وقال تعالى: وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [العنكبوت: 25].

\* عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : صَارَتْ كُلُّ خِلَّةٍ فِي الدُّنْيَا عَدَاوَةً عَلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا خِلَّةَ الْمُتَّقِينَ .(الطبري ج20)

( وفي تفسير البغوي ج6 ص 238) إِنَّكُمْ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ هَذِهِ الْأَوْثَانَ مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَتَوَارَدُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا وَتَتَوَاصَلُونَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا . ( ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ) تَتَبَرَّأُ الْأَوْثَانُ مِنْ عَابِدِيهَا ، وَتَتَبَرَّأُ الْقَادَةُ مِنَ الْأَتْبَاعِ ، وَتَلْعَنُ الْأَتْبَاعُ الْقَادَةَ ) ( وَمَأْوَاكُمُ ) جَمِيعًا الْعَابِدُونَ وَالْمَعْبُودُونَ ( النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ )

وقال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّـهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ سبأ

\* (جاء في تفسير فتح القدير للشوكاني ج1 ص1199) وَمَعْنَى مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ : مَحْبُوسُونَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا وَهُمُ: الْأَتْبَاعُ. لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وَهُمُ : الرُّؤَسَاءُ الْمَتْبُوعُونَ، لَوْلَا أَنْتُمْ صَدَدْتُمُونَا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالِاتِّبَاعِ لِرَسُولِهِ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ مُصَدِّقِينَ لِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا مُجِيبِينَ عَلَيْهِمْ مُسْتَنْكِرِينَ لِمَا قَالُوهُ : أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى؟ أَيْ : مَنَعْنَاكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ الْهُدَى؟ قَالُوا هَذَا مُنْكِرِينَ لِمَا ادَّعَوْهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّدِّ لَهُمْ، وَجَاحِدِينَ لِمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ بَيَّنُوا لَهُمْ أَنَّهُمُ الصَّادُّونَ لِأَنْفُسِهِمْ، الْمُمْتَنِعُونَ مِنَ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَهُمْ، فَقَالُوا: بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ أَيْ: مُصِرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ، كَثِيرِي الْإِجْرَامِ، عَظِيمِي الْآثَامِ.

\* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا رَدًّا لِمَا أَجَابُوا بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَدَفْعًا لِمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِمْ مِنْ صَدِّهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَصْلُ الْمَكْرِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : الْخَدِيعَةُ ، وَالْحِيلَةُ ، وَالْمَعْنَى : بَلْ مَكْرُكُمْ بِنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.

\* قَالَ النَّحَّاسُ : الْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، بَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَدُعَاؤُكُمْ لَنَا إِلَى الْكُفْرِ هُوَ الَّذِي حَمَلَنَا عَلَى هَذَا .

\* وَقِيلَ : مَعْنَى أَسَرُّوا فِي : تَبَيَّنَتِ النَّدَامَةُ فِي أَسِرَّةِ وُجُوهِهِمْ، وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا: جُعِلَتِ الْأَغْلَالُ مِنَ الْحَدِيدِ فِي أَعْنَاقِ هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ.

\* (وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج12 ص: 219) يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا . قَالَ : هُمُ الْأَتْبَاعُ، لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، قَالَ : هُمُ الْقَادَةُ . وَفِي قَوْلِهِ : بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . يَقُولُ : غَرَّكُمُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

\* وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَالَ : بَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَا أَيُّهَا الْعُظَمَاءُ الرُّؤَسَاءُ حَتَّى أَزَلْتُمُونَا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ .

وفي تفسير ابن عطيةج7 (ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ الْجَدَلَ بِأَنَّ الْأَتْبَاعَ وَالضُّعَفَاءَ مِنَ الْكَفَرَةِ يَقُولُونَ لِلْكُفَّارِ وَلِلرُّؤُوسِ - عَلَى جِهَةِ التَّذْنِيبِ وَالتَّوْبِيخِ وَرَدِّ اللَّائِمَةِ عَلَيْهِمْ -: لَوْلَا أَنْتُمْ لَآمَنَّا نَحْنُ وَاهْتَدَيْنَا، أَيْ: أَنْتُمْ أَغْوَيْتُمُونَا وَأَمَرْتُمُونَا بِالْكُفْرِ، فَقَالَ لَهُمُ الرُّؤَسَاءُ - عَلَى جِهَةِ التَّقْرِيرِ وَالتَّكْذِيبِ -: أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى؟ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ، أَيْ: دَخَلْتُمْ فِي الْكُفْرِ بِبَصَائِرِكُمْ، وَأَجْرَمْتُمْ بِنَظَرٍ مِنْكُمْ، وَدَعْوَتُنَا لَمْ تَكُنْ ضَرْبَةَ لَازِبٍ عَلَيْكُمْ; لِأَنَّا دَعَوْنَاكُمْ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ)

\* [وفي تفسير السعدي ج6 ص: 1420 ] لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ مِيعَادَ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ، لَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ عِنْدَ حُلُولِ أَجَلِهِ، ذَكَرَ هُنَا حَالَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ حَالَهُمْ إِذَا وَقَفُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَاجْتَمَعَ الرُّؤَسَاءُ وَالْأَتْبَاعُ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا وَهَوْلًا جَسِيمًا، وَرَأَيْتَ كَيْفَ يَتَرَاجَعُ، وَيَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ، فَيَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا وَهُمُ الْأَتْبَاعُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وَهُمُ الْقَادَةُ: لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِين. وَلَكِنَّكُمْ حُلْتُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْإِيمَانِ، وَزَيَّنْتُمْ لَنَا الْكُفْرَانَ، فَتَبِعْنَاكُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَمَقْصُودُهُمْ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْعَذَابُ عَلَى الرُّؤَسَاءِ دُونَهُمْ.

\* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا مُسْتَفْهِمِينَ لَهُمْ وَمُخْبِرِينَ أَنَّ الْجَمِيعَ مُشْتَرِكُونَ فِي الْجُرْمِ: أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم؟ أَيْ: بِقُوَّتِنَا وَقَهْرِنَا لَكُمْ. بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ أَيْ: مُخْتَارِينَ لِلْإِجْرَامِ، لَسْتُمْ مَقْهُورِينَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كُنَّا قَدْ زَيَّنَّا لَكُمْ، فَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ.

\* فَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا أَيْ: بَلِ الَّذِي دَهَانَا مِنْكُمْ، وَوَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ إِضْلَالِكُمْ، مَا دَبَّرْتُمُوهُ مِنَ الْمَكْرِ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِذْ تُحَسِّنُونَ لَنَا الْكَفْرَ، وَتَدْعُونَنَا إِلَيْهِ، وَتَقُولُونَ: إِنَّهُ الْحَقُّ، وَتَقْدَحُونَ فِي الْحَقِّ وَتُهَجِّنُونَهُ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ الْبَاطِلُ، فَمَا زَالَ مَكْرُكُمْ بِنَا، وَكَيْدُكُمْ إِيَّانَا، حَتَّى أَغْوَيْتُمُونَا وَفَتَنْتُمُونَا.

\* فَلَمْ تُفِدْ تِلْكَ الْمُرَاجَعَةُ بَيْنَهُمْ شَيْئًا إِلَّا تَبْرِّيَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالنَّدَامَةَ الْعَظِيمَةَ، وَلِهَذَا قَالَ: وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ أَيْ: زَالَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الِاحْتِجَاجُ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ بَعْضُهُمْ لِيَنْجُوَ مِنَ الْعَذَابِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ ظَالِمٌ مُسْتَحِقٌّ لَهُ، فَنَدِمَ كُلٌّ مِنْهُمْ غَايَةَ النَّدَمِ، وَتَمَنَّى أَنْ لَوْ كَانَ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّهُ تَرَكَ الْبَاطِلَ الَّذِي أَوْصَلَهُ إِلَى هَذَا الْعَذَابِ، سِرًّا فِي أَنْفُسِهِمْ لِخَوْفِهِمْ مِنَ الْفَضِيحَةِ فِي إِقْرَارِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَفِي بَعْضِ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، وَعِنْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، يُظْهِرُونَ ذَلِكَ النَّدَمَ جَهْرًا.

وقال تعالى: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ الفرقان

\* قَالَ الضَّحَّاكُ: " وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ " نَدَمًا وَأَسَفًا عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَأَوْبَقَ نَفْسَهُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْكُفْرِ بِاللَّهِ بِطَاعَةِ خَلِيلِهِ الَّذِي صَدَّهُ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِ .

\* وقَالَ عَطَاءٌ : يَأْكُلُ يَدَيْهِ حَتَّى تَبْلُغَ مِرْفَقَيْهِ ثُمَّ تَنْبُتَانِ ، ثُمَّ يَأْكُلُ هَكَذَا ، كُلَّمَا نَبَتَتْ يَدُهُ أَكَلَهَا تَحَسُّرًا عَلَى مَا فَعَلَ . (يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ) فِي الدُّنْيَا ( مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) لَيْتَنِي اتَّبَعْتُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَاتَّخَذْتُ مَعَهُ سَبِيلًا إِلَى الْهُدَى . ( تفسير البغوي ج6)

\* وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ هِشَامٍ فِي قَوْلِهِ : وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ قَالَ : يَأْكُلُ كَفَّيْهِ نَدَامَةً حَتَّى يَبْلُغَ مَنْكِبَهُ لَا يَجِدُ مَسَّهَا .

\* وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ فِي قَوْلِهِ : وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّهُ يَعَضُّهُ حَتَّى يَكْسِرَ الْعَظْمَ ثُمَّ يَعُودُ . (الدر المنثور ج11 ص: 168)

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ \* قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ \* قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ \* فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ \* فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ [الصافات: 27 - 32].

[وفي تفسير الطبري ج21 ص: 31 ] عَنْ قَتَادَةَ (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قَالَتِ الْإِنْسَ لِلْجِنِّ : إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْخَيْرِ ، فَتَنْهَوْنَنَا عَنْهُ ، وَتُبَطِّئُونَنَا عَنْهُ .

\* عَنِ السُّدِّيِّ ، فِي قَوْلِهِ (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قَالَ : تَأْتُونَنَا مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ تُزَيِّنُونَ لَنَا الْبَاطِلَ ، وَتَصُدُّونَنَا عَنِ الْحَقِّ .

\* قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قَالَ : قَالَ بَنُو آدَمَ لِلشَّيَاطِينِ الَّذِينَ كَفَرُوا : إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالَ : تَحُولُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَيْرِ ، وَرَدَدْتُمُونَا عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، وَالْعَمَلِ بِالْخَيْرِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

\* ( وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ) يَقُولُ : قَالُوا : وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ حُجَّةٍ ، فَنَصُدَكُمْ بِهَا عَنِ الْإِيمَانِ ، وَنَحُولَ بَيْنَكُمْ مِنْ أَجْلِهَا وَبَيْنَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ ( بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ) يَقُولُ : قَالُوا لَهُمْ : بَلْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ قَوْمًا طَاغِينَ عَلَى اللَّهِ ، مُتَعَدِّينَ إِلَى مَا لَيْسَ لَكُمُ التَّعَدِّي إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَخِلَافِ أَمْرِهِ.

[وفي تفسير فتح القدير ج1ص : 85 ] وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ أَيْ : أَقْبَلَ بَعْضُ الْكُفَّارِ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ .

\* وقِيلَ : هُمُ الْأَتْبَاعُ وَالرُّؤَسَاءُ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ وَمُخَاصَمَةٍ .

\* قَالَ الزَّجَّاجُ : كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا مِنْ قِبَلِ الدِّينِ ، فَتُرُونَنَا أَنَّ الدِّينَ وَالْحَقَّ مَا تُضِلُّونَنَا بِهِ ، وَالْيَمِينُ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَقِّ.

\* قَالَ الْوَاحِدِيُّ : قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي : إِنَّ الرُّؤَسَاءَ كَانُوا قَدْ حَلَفُوا لِهَؤُلَاءِ الْأَتْبَاعِ أَنَّ مَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ فَوَثِقُوا بِأَيْمَانِهِمْ ، فَمَعْنَى تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ أَيْ : مِنْ نَاحِيَةِ الْأَيْمَانِ الَّتِي كُنْتُمْ تَحْلِفُونَهَا فَوَثِقْنَا بِهَا .

\* بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَلَمْ نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ . وَالْمَعْنَى : إِنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ قَطُّ حَتَّى نَنْقُلَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْر،ِ بَلْ كُنْتُمْ مِنَ الْأَصْلِ عَلَى الْكُفْرِ فَأَقَمْتُمْ عَلَيْهِ. وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ تَسَلُّطٍ بِقَهْرٍ وَغَلَبَةٍ حَتَّى نُدْخِلَكُمْ فِي الْإِيمَانِ وَنُخْرِجَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ أَيْ : مُتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ .

\* وَقَوْلُهُ : فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ مِنْ قَوْلِ الْمَتْبُوعِينَ أَيْ : وَجَبَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ وَلَزِمَنَا قَوْلُ رَبِّنَا ، يَعْنُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (إِنَّا لَذَائِقُو الْعَذَابِ) أَيْ : إِنَّا جَمِيعًا لَذَائِقُو الْعَذَابِ الَّذِي وَرَدَ بِهِ الْوَعِيدُ . قَالَ الزَّجَّاجُ أَيْ : إِنَّ الْمُضِلَّ وَالضَّالَّ فِي النَّارِ .

\* فَأَغْوَيْنَاكُمْ أَيْ : أَضْلَلْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى ، وَدَعَوْنَاكُمْ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنَ الْغَيِّ، وَزَيَّنَّا لَكُمْ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ، فَلَا عَتْبَ عَلَيْنَا فِي تَعَرُّضِنَا لِإِغْوَائِكُمْ، لِأَنَّا أَرَدْنَا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَنَا فِي الْغَوَايَةِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ : أَقْدَمْنَا عَلَى إِغْوَائِكُمْ لِأَنَّا كُنَّا مَوْصُوفِينَ فِي أَنْفُسِنَا بِالْغَوَايَة ، فَأَقَرُّوا هَاهُنَا بِأَنَّهُمْ تَسَبَّبُوا لِإِغْوَائِهِمْ، لَكِنْ لَا بِطْرِيقِ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَنَفَوْا عَنْ أَنْفُسِهِمْ فِيمَا سَبَقَ أَنَّهُمْ قَهَرُوهُمْ وَغَلَبُوهُمْ، فَقَالُوا: وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ.

مخاصمة الضعفاء للسادة المستكبرين: قال الله تعالى:{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48)} [غافر/47- 48].

[وفي الجامع لأحكام القرآن ج15ص: 287 ] قَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ أَيْ يَخْتَصِمُونَ فِيهَا فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنِ الِانْقِيَادِ لِلْأَنْبِيَاء:ِ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فِيمَا دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ فِي الدُّنْيَا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ أَيْ مُتَحَمِّلُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ أَيْ جُزْءًا مِنَ الْعَذَابِ؟

\* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ : بَلَغَنِي أَوْ ذُكِرَ لِي أَنَّ أَهْلَ النَّارِ اسْتَغَاثُوا بِالْخَزَنَةِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ. فَسَأَلُوا يَوْمًا وَاحِدًا يُخَفَّفْ عَنْهُمْ فِيهِ الْعَذَابُ ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ "أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ قَالَ : يُلقَى على أهلِ النَّارِ الجوعُ حتَّى يعدِلَ ما هم فيه من العذابِ فيستغيثون بالطَّعامِ فيُغاثون بطعامٍ من ضريعٍ لا يُسمِنُ ولا يُغني من جوعٍ ويستغيثون بالطَّعامِ فيُغاثون بطعامٍ ذي غُصَّةٍ فيذكرون أنَّهم كما كانوا يُجيزون الغُصصَ في الدُّنيا بشرابٍ فيستغيثون بشرابٍ فيُرفَعُ إليهم الحميمُ بكلاليبِ الحديدِ فإذا دنت من وجوهِهم شوت وجوهَهم ، فإذا دخل الشَّرابُ بطونَهم قطع ما في بطونِهم فيقولون ادعوا خزَنةَ جهنَّم قال : فيدعون خزَنةَ جهنَّمَ أن ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ \* قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ، قال : فيقولون : ادعوا مالكًا فيقولون : يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قال : فيُجيبُهم : إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ قال الأعمشُ : أُنبِئتُ أنَّ بين دعائِهم وبين إجابةِ مالكٍ إيَّاهم ألفَ عامٍ . قال : فيقولون : ادعوا ربَّكم فلا أحدَ خيرٌ من ربِّكم فيقولون : قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قال فيُجيبُهم : اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ، قال : فعند ذلك يئسوا من كلِّ خيرٍ، وعند ذلك أُخِذوا في الزَّفيرِ والحسرةِ والويْلِ. ذكره العراقي في تخريج الإحياء5/296 وأخرجه الترمذي (2586)، والبيهقي في (البعث والنشور) (547) قَالَ أَبُو عِيسَى : إِنَّمَا يُرْوَى عَنِ الأَعْمَشِ بِإِسْنَادِهِ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، غَيْرَ مَرْفُوعٍ، وَقُطْبَةُ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيث .

(وجاء في تفسير السعدي) يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ، وَعِتَابِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَاسْتِغَاثَتِهِمْ بِخَزَنَةِ النَّارِ، وَعَدَمِ الْفَائِدَةِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ يَحْتَجُّ التَّابِعُونَ بِإِغْوَاءِ الْمَتْبُوعِينَ، وَيَتَبَرَّأُ الْمَتْبُوعُونَ مِنَ التَّابِعِينَ، فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ أَيِ: الْأَتْبَاعُ لِلْقَادَةِ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَلَى الْحَقِّ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى مَا اسْتَكْبَرُوا لِأَجْلِهِ. إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا أَنْتُمْ أَغْوَيْتُمُونَا وَأَضْلَلْتُمُونَا وَزَيَّنْتُمْ لَنَا الشِّرْكَ وَالشَّرَّ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ أَيْ: وَلَوْ قَلِيلًا؟ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مُبَيِّنِينَ لِعَجْزِهِمْ وَنُفُوذِ الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ فِي الْجَمِيعِ: إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَجَعَلَ لِكُلٍّ قِسْطَهُ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَلَا يُغَيَّرُ مَا حَكَمَ بِهِ الْحَكِيمُ. وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالضُّعَفَاءِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ لَعَلَّهُ تَحْصُلُ بَعْضُ الرَّاحَةِ. فَـقَالُوا لَهُمْ مُوَبِّخِينَ وَمُبَيِّنِينَ أَنَّ شَفَاعَتَهُمْ لَا تَنْفَعُهُمْ، وَدُعَاءَهُمْ لَا يُفِيدُهُمْ شَيْئًا: أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ الَّتِي تَبَيَّنْتُمْ بِهَا الْحَقَّ وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَمَا يَقْرُبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا يَبْعُدُ مِنْهُ؟ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءُونَا بِالْبَيِّنَاتِ، وَقَامَتْ عَلَيْنَا حُجَّةُ اللَّهِ الْبَالِغَةُ فَظَلَمْنَا وَعَانَدْنَا الْحَقَّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ. قَالُوا أَيِ: الْخَزَنَةُ لِأَهْلِ النَّارِ، مُتَبَرِّئِينَ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُمْ وَالشَّفَاعَةِ: فَادْعُوا أَنْتُمْ وَلَكِنْ هَذَا الدُّعَاءُ هَلْ يُغْنِي شَيْئًا؟ قَالَ تَعَالَى: وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ أَيْ: بَاطِلٌ لَاغٍ، لِأَنَّ الْكُفْرَ مُحْبِطٌ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ صَادٌّ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ.

تخاصم المجرم مع قرينه الشيطان الموكَّل به. قال تعالى: قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَـٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ سورة ق

(وفي تفسير التحرير والتنوير ج27) وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْقَرِينِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ :

\* فَقَالَ قَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ زَيْدٍ وَمُجَاهِدٌ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ : هُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْإِنْسَانِ الَّذِي يَسُوقُهُ إِلَى الْمَحْشَرِ أَيْ هُوَ السَّائِقُ الشَّهِيدُ . وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْقَرِينُ فِي قَوْلِهِ الْآتِي "قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ" بِمَعْنًى غَيْرِ مَعْنَى الْقَرِينِ فِي قَوْلهِ: وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ.

\* وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا : أَنَّ الْقَرِينَ شَيْطَانُ الْكَافِرِ الَّذِي كَانَ يُزَيِّنُ لَهُ الْكُفْرَ فِي الدُّنْيَا، أَيِ الَّذِي وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ .

\* وَعَنِ ابْنِ زَيْدٍ أَيْضًا : أَنْ قَرِينَهُ صَاحِبُهُ مِنَ الْإِنْسِ ، أَيِ الَّذِي كَانَ قَرِينَهُ فِي الدُّنْيَا .

[وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج13 ص: 636 ] وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ قَالَ : الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَوْتِ .

\* وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ قَالَ : عَايَنَ الْآخِرَةَ فَنَظَرَ إِلَى مَا وَعَدَهُ اللَّهُ فَوَجَدَهُ كَذَلِكَ .

\* وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ قَالَ : كَلِسَانِ الْمِيزَانِ حَدِيدٌ قَالَ : حَدِيدُ النَّظَرِ شَدِيدٌ .

\* وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ : وَقَالَ قَرِينُهُ قَالَ : مَلَكُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ قَالَ : الَّذِي عِنْدِي عَتِيدٌ لِلْإِنْسَانِ، حَفِظْتُهُ حَتَّى جِئْتُ بِهِ . وَفِي قَوْلِهِ : قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ قَالَ : هَذَا شَيْطَانُهُ .

\* وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ قَالَ : إِنَّهُمُ اعْتَذَرُوا بِغَيْرِ عُذْرٍ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حُجَّتَهُمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ .

\* وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ قَالَ : عِنْدِي وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ قَالَ : عَلَى أَلْسُنِ الرُّسُلِ : إِنَّهُ مَنْ عَصَانِي عَذَّبْتُهُ .

\* وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ : قَالَ اللَّهُ : لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ وَقَالَ : ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [الزُّمَرِ : 31] فَكَيْفَ هَذَا؟ قَالَ : نَعَمْ، أَمَّا قَوْلُهُ : لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الشِّرْكِ، وَقَوْلُهُ : ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ يَخْتَصِمُونَ فِي مَظَالِمِهِمْ .

وقال تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم:21].  
\* قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : إِنَّ أَهْلَ النَّارِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : تَعَالَوْا ، فَإِنَّمَا أَدْرَكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِبُكَائِهِمْ وَتَضَرُّعِهِمْ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - تَعَالَوْا نَبْكِ وَنَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ فَبَكَوْا وَتَضَرَّعُوا ، فَلَّمَا رَأَوْا ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ قَالُوا : تَعَالَوْا ، فَإِنَّمَا أَدْرَكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِالصَّبْرِ ، تَعَالَوْا حَتَّى نَصْبِرَ فَصَبَرُوا صَبْرًا لَمْ يُرَ مِثْلُهُ ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا ( [سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ.](http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?flag=1&bk_no=49&surano=14&ayano=21#docu))  تفسير ابن كثير ج4)

[وفي تفسير التحرير والتنوير ج14 ص: 216 ] وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ، أَيْ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ : وَيَبْرُزُونَ لِلَّهِ ، فَقَدْ عَدَلَ عَنِ الْمُضَارِعِ إِلَى الْمَاضِي لِلتَّنْبِيهِ عَلَى تَحْقِيقِ وُقُوعِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى أَتَى أَمْرُ اللَّهِ .

\* وَالضُّعَفَاءُ : عَوَامُّ النَّاسِ وَالْأَتْبَاعُ ، وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : السَّادَةُ ، لِأَنَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ عَلَى الْعُمُومِ وَكَانَ التَّكَبُّرُ شِعَارَ السَّادَةِ.

\* قَوْلِ الْمُسْتَكْبِرِينَ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ، فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ غَرُّوهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَيْ : فَأَظْهِرُوا مَكَانَتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ الَّتِي كُنْتُمْ تَدَّعُونَهَا وَتَغُرُّونَنَا بِهَا فِي الدُّنْيَا.

\* لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ. وَجَوَابُ الْمُسْتَكْبِرِينَ اعْتِذَارٌ عَنْ تَغْرِيرِهِمْ بِأَنَّهُمْ مَا قَصَدُوا بِهِ تَوْرِيطَ أَتْبَاعِهِمْ ، كَيْفَ وَقَدْ وَرَّطُوا أَنْفُسَهُمْ أَيْضًا؟ أَيْ : لَوْ كُنَّا نَافِعِينَ لَنَفَعْنَا أَنْفُسَنَا، وَهَذَا الْجَوَابُ جَارٍ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ التَّوْبِيخِيِّ الْعِتَابِيِّ إِذْ لَمْ يُجِيبُوهُمْ بِأَنَّا لَا نَمْلِكُ لَكُمْ غَنَاءً وَلَكِنِ ابْتَدَءُوا بِالِاعْتِذَارِ عَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ نَحْوَهُمْ فِي الدُّنْيَا عِلْمًا بِأَنَّ الضُّعَفَاءَ عَالِمُونَ بِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لَهُمْ غَنَاءً مِنَ الْعَذَابِ .

[وفي تفسير الكشاف ج3 ص: 373] وَالضُّعَفَاءُ: الْأَتْبَاعُ وَالْعَوَامُّ، وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: سَادَاتُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ، الَّذِينَ اسْتَتْبَعُوهُمْ وَاسْتَغْوَوْهُمْ وَصَدُّوهُمْ عَنِ الْاسْتِمَاعِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ،

[وفي تفسير السعدي ج4 ص: 847 ] فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ أَيِ: التَّابِعُونَ وَالْمُقَلِّدُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وَهُمُ: الْمَتْبُوعُونَ الَّذِينَ هُمْ قَادَةٌ فِي الضَّلَالِ: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا أَيْ: فِي الدُّنْيَا، أَمَرْتُمُونَا بِالضَّلَالِ، وَزَيَّنْتُمُوهُ لَنَا فَأَغْوَيْتُمُونَا، فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أَيْ: وَلَوْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، قَالُوا أَيِ: الْمَتْبُوعُونَ وَالرُّؤَسَاءُ : أَغْوَيْنَاكُمْ كَمَا غَوَيْنَا فَـ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ فَلَا يُغْنِي أَحَدٌ أَحَدًا، سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا مِنَ الْعَذَابِ أَمْ صَبَرْنَا عَلَيْهِ، مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ. أَيْ: مِنْ مَلْجَأٍ نَلْجَأُ إِلَيْهِ، وَلَا مَهْرَبَ لَنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

\* وإذا قضى الله الأمر، وفصل بين العباد، خطب إبليس في أهل النار يتبرأ من أتباعه؛ ليزيد من كربهم وندامتهم وحسرتهم.

قال الله تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)} [إبراهيم/22].

[وفي تفسير الطبري ج16 ص: 561 ] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَقَالَ إِبْلِيسُ ، ( لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ) ، يَعْنِي لَمَّا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، وَاسْتَقَرَّ بِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ قَرَارُهُمْ ، أَنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ ، أَيُّهَا الْأَتْبَاعُ ، النَّارَ ، وَوَعَدْتُكُمُ النُّصْرَةَ ، فَأَخْلَفْتُكُمْ وَعْدِي ، وَوَفَى اللَّهُ لَكُمْ بِوَعْدِهِ ( وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ) يَقُولُ : وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ ، فِيمَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ النُّصْرَةِ ، مِنْ حُجَّةٍ تَثْبُتُ لِي عَلَيْكُمْ بِصِدْقِ قَوْلِي ( إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ ) وَهَذَا مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ عَنِ الْأَوَّلِ ، كَمَا تَقُولُ : "مَا ضَرَبْتُهُ إِلَّا أَنَّهُ أَحْمَقُ" وَمَعْنَاهُ : وَلَكِنْ ( دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ) يَقُولُ : إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى طَاعَتِي وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَاسْتَجَبْتُمْ لِدُعَائِي ( فَلَا تَلُومُونِي ) ، عَلَى إِجَابَتِكُمْ إِيَّايَ ( وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) عَلَيْهَا ( مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ) يَقُولُ: مَا أَنَا بِمُغِيثِكُمْ ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ) وَلَا أَنْتُمْ بِمُغِيثِيَّ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَمُنْجِيَّ مِنْهُ ( إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ) يَقُولُ : إِنِّي جَحَدْتُ أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا لِلَّهِ فِيمَا أَشْرَكْتُمُونِي فِيهِ مِنْ عِبَادَتِكُمْ ( مِنْ قَبْلُ ) فِي الدُّنْيَا ( إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) ، يَقُولُ : إِنَّ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ "أَلِيمٌ" مِنَ اللَّهِ مُوجِعٌ .

\* وعَنْ دَاوُدَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، فِي قَوْلِهِ : ( مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ) قَالَ : خَطِيبَانِ يَقُومَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَمَّا إِبْلِيسُ فَيَقُولُ هَذَا ، وَأَمَّا عِيسَى فَيَقُولُ : ( مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ )

\* وعَنِ الْحَسَنِ ، فِي قَوْلِهِ : ( وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ) ، قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، قَامَ إِبْلِيسُ خَطِيبًا عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ نَارٍ ، فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ) إِلَى قَوْلِهِ : ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ) قَالَ: بِنَاصِرِيَّ ( إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ) ، قَالَ : بِطَاعَتِكُمْ إِيَّايَ فِي الدُّنْيَا .

وفي الحديث: إذا جمَعَ اللهُ الأولينَ والآخرينَ فقضَى بينهُمْ وفَرَغَ من القضَاءِ ، قالَ المؤمنونَ : قدْ قضَى بينَنَا ربُّنَا فمنْ يشْفَعُ لنَا إلى ربنَا ؟ فيقولونَ: انطلِقوا إلى آدمَ فإنَّ اللهَ خلَقَهُ بيدِهِ وكلَّمَهُ . فيأْتُونَه فيقولونَ : قُمْ فاشْفَعْ لنَا إلى رَبِّنَا . فيقولُ آدمُ : عليكمْ بِنُوحٍ . فيأتُونَ نوحًا فيدُلُّهُم على إبراهيمَ ، فيأْتُونَ إبراهيمَ فيَدُلُّهُم على مُوسَى ، فيأْتُونَ موسَى فيَدُلُّهُم على عِيسَى ، فيأْتُونَ عِيسَى فيقولُ : أَدُلُّكُم على النبيِّ الأميِّ . قالَ : فيأتُونِي فيَأْذَنُ تعالى لي أنْ أقومَ إليهِ ، فَيَثُورُ مجْلِسِي أطْيَبَ ريحٍ شَمَّهَا أحدٌ قطُّ حتى آتِي ربِّي فَيُشَفِّعَنِي ويجعَلَ لي نورًا من شَعرِ رأسِي إلى ظُفْرِ قَدَمي ، فيقولُ الكافِرونَ عندَ ذلك َلإبليسَ : قدْ وجدَ المؤمنونَ من يشْفَعُ لهمْ ، فَقُمْ أنتَ فاشْفَعْ لنَا إلى ربّكَ فإنَّكَ أنتَ أضْلَلْتَنا . قال : فيقومُ فَيَثُورُ مَجْلِسُهُ أَنْتَنَ ريحٍ شَمَّهَا أحدٌ قطُّ ثمَّ يَعْظُمُ لجَهنمَ فيقولُ عندَ ذلكَ : { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} إلى آخرِ الآيةِ .عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال الوادعي في الشفاعة39: فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف . قلت: لكنه يصلح في الشواهد والمتابعات . والألفاظ التي لا شواهد لها "يجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى قدمي" "وقول إبليس"

وقال تعالى: وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ الزخرف

\* الْكَافِرُ وَقَرِينُهُ وَقَدْ جُعِلَا فِي سَلْسَلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَيَقُولُ الْكَافِرُ : يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْن.ِ أَيْ : مَشْرِقُ الشِّتَاءِ وَمَشْرِقُ الصَّيْفِ تفسير القرطبي ج16 ص 84

(وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج13) وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ : وَمَنْ يَعْشُ قَالَ : يُعْرِضُ. وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ قَالَ : عَنِ الدِّينِ، (حَتَّى إِذَا جَاءَانَا) جَمِيعًا هُوَ وَقَرِينُهُ . \* وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، فِي "الزُّهْدِ" عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : لَيْسَ مِنَ الْآدَمِيِّينَ أَحَدٌ إِلَّا وَمَعَهُ شَيْطَانٌ مُوَكَّلٌ بِهِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَيَأْكُلُ مَعَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَيَشْرَبُ مَعَهُ مِنْ شَرَابِهِ وَيَنَامُ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُجَانِبٌ لَهُ يَنْتَظِرُهُ مَتَى يُصِيبُ مِنْهُ غَفْلَةً أَوْ غِرَّةً فَيَثِبُ عَلَيْهِ. وَأَحَبُّ الْآدَمِيِّينَ إِلَى الشَّيْطَانِ الْأَكُولُ النَّئُومُ .

[تفسير السعدي ج7 ص: 1611 ] وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ أَيِ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَالدِّينُ الْقَوِيمُ. وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ بِسَبَبِ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لِلْبَاطِلِ وَتَحْسِينِهِ لَهُ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، فَاجْتَمَعَ هَذَا وَهَذَا. فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ لِهَذَا مِنْ عُذْرٍ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مُهْتَدٍ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ قِيلَ: لَا عُذْرَ لِهَذَا وَأَمْثَالِهِ، الَّذِينَ مَصْدَرُ جَهْلِهِمُ الْإِعْرَاضُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، مَعَ تَمَكُّنِهِمْ عَلَى الِاهْتِدَاءِ، فَزَهِدُوا فِي الْهُدَى مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَرَغِبُوا فِي الْبَاطِلِ، فَالذَّنْبُ ذَنْبُهُمْ، وَالْجُرْمُ جُرْمُهُمْ.

\* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ أَيْ: وَلَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اشْتِرَاكُكُمْ فِي الْعَذَابِ، أَنْتُمْ وَقُرَنَاؤُكُمْ وَأَخِلَّاؤُكُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّكُمُ اشْتَرَكْتُمْ فِي الظُّلْمِ، فَاشْتَرَكْتُمْ فِي عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ. وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَيْضًا، رُوحُ التَّسَلِّي فِي الْمُصِيبَةِ، فَإِنَّ الْمُصِيبَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الدُّنْيَا، وَاشْتَرَكَ فِيهَا الْمُعَاقِبُونَ، هَانَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ الْهَوْنِ، وَتَسَلَّى بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَأَمَّا مُصِيبَةُ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهَا جَمَعَتْ كُلَّ عِقَابٍ، مَا فِيهِ أَدْنَى رَاحَةٍ، حَتَّى وَلَا هَذِهِ الرَّاحَةِ. نَسْأَلُكَ يَا رَبَّنَا الْعَافِيَةَ، وَأَنْ تُرِيحَنَا بِرَحْمَتِكَ.

وقال تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ الزمر

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيَخْتَصِمَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَتَا .

[الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج12 ص: 656 ] وَأَخْرَجَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي "الْفِتَنِ" وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَمَا نَرَى هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِينَا : إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ. فَقُلْتُ : لِمَ نَخْتَصِمُ؟ أَمَّا نَحْنُ فَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَأَمَّا دِينُنَا فَالْإِسْلَامُ، وَأَمَّا كِتَابُنَا فَالْقُرْآنُ لَا نُغَيِّرُهُ أَبَدًا وَلَا نُحَرِّفُ الْكِتَابَ، وَأَمَّا قِبْلَتُنَا فَالْكَعْبَةُ، وَأَمَّا حَرَامُنَا -أَوْ حَرَمُنَا- فَوَاحِدٌ، وَأَمَّا نَبِيُّنَا فَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَيْفَ نَخْتَصِمُ؟ حَتَّى كَفَحَ بَعْضُنَا وَجْهَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ فَعَرَفْتُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِينَا .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ ، وَابْنُ مَرْدُويَهْ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ يَخْتَصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ وَامْرَأَتُهُ، وَاللَّهِ مَا يَتَكَلَّمُ لِسَانُهَا وَلَكِنْ يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا يَشْهَدَانِ عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ تُغَيِّبُ لِزَوْجِهَا، وَتَشْهَدُ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ بِمَا كَانَ يُوَلِّيهَا، ثُمَّ يُدْعَى الرَّجُلُ وَخَادِمُهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ يُدْعَى أَهْلُ الْأَسْوَاقِ وَمَا يُوجَدُ ثَمَّ دَوَانِقُ وَلَا قَرَارِيطُ وَلَكِنْ حَسَنَاتُ هَذَا تُدْفَعُ إِلَى هَذَا الَّذِي ظُلِمَ وَسَيِّئَاتُ هَذَا الَّذِي ظَلَمَهُ تُوضَعُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَبَّارِينَ فِي مَقَامِعَ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُقَالُ : أَوْرِدُوهُمُ النَّارَ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي يَدْخُلُونَهَا، أَوْ كَمَا قَالَ اللَّهُ : {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}[مَرْيَمَ : 71 ] قال السيوطي الدر المنثور12/659 إسناده لا بأس به. البدور السافرة283. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد10/352: فيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي وهو ضعيف وقد وثقه سعيد بن منصور وقال‏‏ كان مالك يرضاه وبقية رجاله رجال الصحيح‏‏

وَأَخْرَجَ ابْنُ مِنْدَهْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : يَخْتَصِمُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى تَخْتَصِمَ الرُّوحُ مَعَ الْجَسَدِ، فَتَقُولُ الرُّوحُ لِلْجَسَدِ : أَنْتَ فَعَلْتَ . وَيَقُولُ الْجَسَدُ لِلرُّوحِ : أَنْتِ أَمَرْتِ وَأَنْتِ سَوَّلْتِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيَقْضِي بَيْنَهُمَا، فَيَقُولُ لَهُمَا : إِنَّ مَثَلَكُمَا كَمَثَلِ رَجُلٍ مُقْعَدٍ بَصِيرٍ وَآخَرَ ضَرِيرٍ دَخَلَا بُسْتَانًا، فَقَالَ الْمُقْعَدُ لِلضَّرِيرِ : إِنِّي أَرَى هَهُنَا ثِمَارًا، وَلَكِنْ لَا أَصِلُ إِلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ الضَّرِيرُ : ارْكَبْنِي فَتَنَاوَلْهَا فَرَكِبَهُ فَتَنَاوَلَهَا، فَأَيُّهُمَا الْمُعْتَدِي؟ فَيَقُولَانِ : كِلَاهُمَا! فَيَقُولُ لَهُمَا الْمَلَكُ : فَإِنَّكُمَا قَدْ حَكَمْتُمَا عَلَى أَنْفُسِكُمَا، يَعْنِي أَنَّ الْجَسَدَ لِلرُّوحِ كَالْمَطِيَّةِ وَهُوَ رَاكِبُهُ. قال الصابوني رواه ابن منده في كتاب الروح ولم يشر له ابن كثير بضعف. [تفسير ابن كثير: 7/98].

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ يَقُولُ : يُخَاصِمُ الصَّادِقُ الْكَاذِبَ، وَالْمَظْلُومُ الظَّالِمَ وَالْمُهْتَدِي الضَّالَّ وَالضَّعِيفُ الْمُسْتَكْبِرَ .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت:29].

[وقال الطبري ج21 ص: 463 ] عَنِ السُّدِّيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي قَوْلِهِ : ( رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) . . . الْآيَةَ ، فَإِنَّهُمَا ابْنُ آدَمَ الْقَاتِلُ ، وَإِبْلِيسُ الْأَبَالِسَةِ . فَأَمَّا ابْنُ آدَمَ فَيَدْعُو بِهِ كُلُّ صَاحِبِ كَبِيرَةٍ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ . وَأَمَّا إِبْلِيسٌ فَيَدْعُو بِهِ كُلُّ صَاحِبِ شِرْكٍ، يَدْعُوَانِهِمَا فِي النَّارِ .

\* وَقَوْلُهُ ( نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ) يَقُولُ : نَجْعَلُ هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ، لِأَنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ بَعْضُهَا أَسْفَلَ مِنْ بَعْضٍ ، وَكُلُّ مَا سَفِلَ مِنْهَا فَهُوَ أَشَدُّ عَلَى أَهْلِهِ ، وَعَذَابُ أَهْلِهِ أَغْلَظُ ، وَلِذَلِكَ سَأَلَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ رَبَّهُمْ أَنْ يُرِيَهُمُ اللَّذَيْنِ أَضَلَّاهُمْ لِيَجْعَلُوهُمَا أَسْفَلَ مِنْهُمْ لِيَكُونَا فِي أَشَدِّ الْعَذَابِ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا \* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا \* رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: 66: 68]

(وفي تفسير السعدي ج6 ص: 1403) وَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُمْ هُمْ وَكُبَرَاءَهُمْ مُسْتَحِقُّونَ لِلْعِقَابِ، أَرَادُوا أَنْ يَشْتَفُوا مِمَّنْ أَضَلُّوهُمْ، فَقَالُوا: رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا. فَيَقُولُ اللَّهُ لِكُلٍّ ضِعْفٌ، فَكُلُّكُمُ اشْتَرَكْتُمْ فِي الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، فَتَشْتَرِكُونَ فِي الْعِقَابِ، وَإِنْ تَفَاوَتَ عَذَابُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْجُرْمِ.

(وفي تفسير القاسمي ج13) قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَخُصَّتِ الْوُجُوهُ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ الْوَجْهَ أَكْرَمُ مَوْضِعٍ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ جَسَدِهِ، يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا أَيْ: فَكُنَّا نَنْجُو مِنْ هَذَا الْعَذَابِ. وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا وَهُمْ رُؤَسَاءُ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَقَّنُوهُمُ الْكُفْرَ وَزَيَّنُوهُ لَهُمْ حَتَّى قَلَّدُوهُمْ فِيهِ: فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا أَيْ: بِمَا زَيَّنُوهُ لَنَا. رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ أَيْ: مِثْلَيِ الْعَذَابِ الَّذِي آتَيْتَنَاهُ; لِأَنَّهُمْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا: وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا أَيْ: لَعْنًا هُوَ أَشَدُّ اللَّعْنِ وَأَعْظَمُهُ.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 38].

عَنِ السُّدِّيِّ : ( كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ) ، يَقُولُ : كُلَّمَا دَخَلَ أَهْلُ مِلَّةٍ لَعَنُوا أَصْحَابَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الدِّينِ ، يَلْعَنُ الْمُشْرِكُونَ الْمُشْرِكِينَ ، وَالْيَهُودُ الْيَهُودَ ، وَالنَّصَارَى النَّصَارَى ، وَالصَّابِئُونَ الصَّابِئِينَ ، وَالْمَجُوسُ الْمَجُوسَ ، تَلْعَنُ الْآخِرَةُ الْأُولَى . الطبري ج12-14592

\* (وفي تفسير الألوسي ج8) كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ مَنِ الْأُمَمِ تَابِعَةً أَوْ مَتْبُوعَةً فِي النَّارِ لَعَنَتْ أُخْتَهَا، أَيْ دَعَتْ عَلَى نَظِيرِهَا فِي الدِّينِ فَتَلْعَنُ التَّابِعَةُ الْمَتْبُوعَةَ الَّتِي أَضَلَّتْهَا، وَتَلْعَنُ الْمَتْبُوعَةُ التَّابِعَةَ الَّتِي زَادَتْ فِي ضَلَالِهَا. وَعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ يَلْعَنُ الْأَتْبَاعُ الْقَادَةَ يَقُولُونَ أَنْتُمْ أَوَرَدْتُمُونَا هَذِهِ الْمَوَارِدَ فَلَعَنَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى. حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا، أَيْ يَدْخُلُونَ فَوْجًا فَوْجًا لَاعِنًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى انْتِهَاءِ تَلَاحُقِهِمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ فِي النَّارِ.

\* رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا أَيْ دَعَوْنَا إِلَى الضَّلَالِ وَأَمَرُونَا بِهِ حَيْثُ سَنُّوهُ فَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا أَيْ مُضَاعَفً.

\* قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِكُلٍّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ عَذَابٌ ضِعْفٌ مِنَ النَّارِ أَمَّا الْقَادَةُ فَلِضَلَالِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ وَذَلِكَ سَبَبُ الدُّعَاءِ السَّابِقِ وَأَمَّا الْأَتْبَاعُ فَلِذَلِكَ أَيْضًا عِنْدَ بَعْضٍ وَكَوْنُهُمْ ضَالِّينَ ظَاهِرٌ، وَأَمَّا كَوْنُهُمْ مُضِلِّينَ فَلِأَنَّ اتِّخَاذَهُمْ إِيَّاهُمْ رُؤَسَاءَ يُصْدِرُونَ عَنْ أَمْرِهِمْ يَزِيدُ فِي طُغْيَانِهِمْ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا.

[وفي زهرة التفاسير ج6 ص: 2834 ] وَهَذَا النَّصُّ يُفِيدُ أَوَّلًا - أَنَّ الْكُفْرَ كُلَّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، لَا تَفْرِيقَ بَيْنِهَا، فَالْبَاطِلُ قَدْ جَمَعَهَا وَالْعِقَابُ قَدْ وَحَّدَهَا، وَيُفِيدُ ثَانِيًا أَنَّهُ يَتَسَلْسَلُ فِي الْأَجْيَالِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَبَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ فِي الْأَجْيَالِ تَجِدُهُمْ قَدِ الْتَقَوْا فِي النَّارِ جَمِيعًا، وَإِنْ تَنْظُرْ إِلَى تَارِيخِ الْمِلَلِ وَالدِّيَانَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَجِدْهَا أَحْيَانًا تَتَلَاقَى فِي نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْكُفْرِ، فَتَجِدُ مَثَلًا عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ فِي الِاعْتِقَادِ الْمَزْعُومِ مِنْ آلِهَةٍ ثَلَاثَةٍ يُوجَدُ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ وَعِنْدَ الْبَرَاهِمَةِ، وَعِنْدَ الْبُوذِيَّةِ وَعِنْدَ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي قَبَسَتْ مِنَ الْبُرْهُمِيَّةِ وَالْبُوذِيَّةِ ... وَعِنْدَ النَّصَارَى الَّذِينَ اتَّبَعُوا بُولَسَ ، وَقَدْ قَبَسُوهَا مِنَ الْبُرْهُمِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا فِي "كُرْشُنَةَ" مَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ فِي يَسُوعَ عِنْدَ بُولَسَ، وَقَبَسُوهَا أَيْضًا مِنْ كَلَامِ الْبُوذِيِّينَ فِي بُوذَا، فَنَحَلُوهُ لِيَسُوعَ فِي زَعْمِهِمْ، ثُمَّ قَبَضُوا الْقَبْضَةَ الْكُبْرَى مِنَ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ، وَسَمَّوْا ذَلِكَ نَصْرَانِيَّةً بَعْدَ أَنِ انْحَرَفُوا عَنِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الَّذِي عَلَّمَهُمُ التَّوْحِيدَ وَاعْتَنَقُوهُ حَتَّى غَيَّرُوا وَبَدَّلُوا.

وَهَكَذَا نَجِدُ فِكْرَةً وَثَنِيَّةً عَمَّتْ أَجْيَالًا، وَكَذَلِكَ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ سَيْطَرَتْ عَلَى الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ وَالْعَرَبِ فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ. فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَجْيَالُ وَالْأُمَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ فَإِنَّهَا تَدْخُلُ النَّارَ جَمِيعًا، يَلْحَقُ التَّابِعُ الْمَتْبُوعَ، وَقَدْ جَمَعَهُمُ الشِّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَوَحَّدَ بَيْنَهُمُ الْعِقَابُ، وَلِذَا يَقُولُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ، أَيْ مَضَتْ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَالنَّارُ مُتَّسِعَةٌ لِلْجَمِيعِ. ثُمَّ يَلْعَنُ الْأَتْبَاعُ الْمَتْبُوعِينَ; وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا، أَيْ تَلَاحَقُوا فِيهَا جِيلًا وَرَاءَهُ جِيلٌ، وَسَلَفًا وَرَاءَهُ خَلَفٌ، وَآبَاءً وَرَاءَهُمْ أَبْنَاءُ.

وقال تعالى: فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّـهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ الشعراء

( وفي تفسير ابن عطية ج6 ) ثُمَّ وَصَفَ تَعَالَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَخْتَصِمُونَ فِيهَا وَيَتَلَاوَمُونَ، وَيَأْخُذُونَ فِي شَأْنِهِمْ بِجِدَالٍ. وَمِنْ جُمْلَةِ قَوْلِهِمْ لِأَصْنَامِهِمْ -عَلَى جِهَةِ الْإِقْرَارِ وَقَوْلِ الْحَقِّ-: قَسَمًا بِاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فِي أَنْ نَعْبُدَكُمْ وَنَجْعَلَكُمْ سَوَاءً مَعَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَخَالِقُهُمْ وَمَالِكُهُمْ، ثُمَّ عَطَفُوا يَرُدُّونَ الْمَلَامَةَ عَلَى غَيْرِهِمْ، أَيْ: مَا أَضَلَّنَا إِلَّا كُبَرَاؤُنَا وَأَهَّلُ الْحَزْمِ وَالْجُرْأَةِ وَالْمَكَانَةِ، ثُمَّ قَالُوا -عَلَى جِهَةِ التَّلَهُّفِ وَالتَّأَسُّفِ- حِينَ رَأَوْا شَفَاعَةَ الْمَلَائِكَةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ نَافِعَةً فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ عُمُومًا، وَشَفَاعَةَ الصَّدِيقِ فِي صَدِيقِهِ خَاصَّةً: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ، وَفِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ تَنْبِيهٌ عَلَى مَحِلِّ الصَّدِيقِ مِنَ الْمَرْءِ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : "شَافِعِينَ" مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَ"صَدِيقٍ" مِنَ النَّاسِ.

( وفي زهرة التفاسير ج10) قَوْلُهُ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ: يُخَاصِمُ الصَّادِقُ الْكَاذِبَ، وَالْمَظْلُمُونَ الظَّالِمَ، وَالْمُهْتَدِي الضَّالَّ، وَالضَّعِيفُ الْمُتَكَبِّرَ.

\* وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ: الَّذِينَ اتَّبَعْنَاهُمْ؛ وَفِي الْوَاقِعِ: إِنَّ الْجَوَّ كُلَّهُ كَانَ جَوًّا إِجْرَامِيًّا؛ فَهُمْ يَتَرَامَوْنَ بِالْإِجْرَامِ؛ وَكَانَ الْإِجْرَامُ فِيهِمْ جَمِيعًا; لِأَنَّهُمُ اشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي تَكْوِينِ رَأْيٍ عَامٍّ فَاسِدٍ؛ يَرُوجُ فِيهِ الْبَاطِلُ؛ وَيَخْتَفِي فِيهِ الْحَقُّ الصَّادِعُ؛ فَكَانُوا فِي ضَلَالٍ يَتَرَامَوْنَ بِهِ؛ وَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ؛

\* فأما أصحاب الجنة، الذين أطاعوا الله والرسول واتبعوا الكتاب والسنة، ففي الجنان يتقابلون، وعلى الأرائك يتكئون، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾، [سورة الزخرف: 71]

وقال تعالى: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّـهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ الصافات

( وفي تفسير الطبري ج 11 ص: 46 ) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ( إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ) قَالَ : شَيْطَانٌ . وَقَالَ آخَرُونَ : ذَلِكَ الْقَرِينُ شَرِيكٌ كَانَ لَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ أَوْ صَاحِبٌ .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ ( قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ) قَالَ : هُوَ الرَّجُلُ الْمُشْرِكُ يَكُونُ لَهُ الصَّاحِبُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، فَيَقُولُ لَهُ الْمُشْرِكُ : إِنَّكَ لَتُصَدِّقُ بِأَنَّكَ مَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا ؟ فَلَمَّا أَنْ صَارُوا إِلَى الْآخِرَةِ وَأُدْخِلَ الْمُؤْمِنُ الْجَنَّةَ ، وَأُدْخِلَ الْمُشْرِكُ النَّارَ ، فَاطَّلَعَ الْمُؤْمِنُ ، فَرَأَى صَاحِبَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ( قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ )

وعَنْ فُرَاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْبَهْرَانِيِّ فِي قَوْلِهِ ( إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ) قَالَ : إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا شَرِيكَيْنِ ، فَاجْتَمَعَ لَهُمَا ثَمَانِيَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا لَهُ حِرْفَةٌ ، وَالْآخَرُ لَيْسَ لَهُ حِرْفَةٌ ، فَقَالَ الَّذِي لَهُ حِرْفَةٌ لِلْآخَرِ : لَيْسَ لَكَ حِرْفَةٌ ، مَا أُرَانِي إِلَّا مُفَارِقَكَ وَمُقَاسِمَكَ ، فَقَاسَمَهُ وَفَارَقَهُ ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ اشْتَرَى دَارًا بِأَلْفِ دِينَارٍ كَانَتْ لِمَلِكٍ قَدْ مَاتَ فَدَعَا صَاحِبَهُ فَأَرَاهُ . فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى هَذِهِ الدَّارَ ابْتَعْتُهَا بِأَلْفِ دِينَارٍ ؟ قَالَ : مَا أَحْسَنَهَا ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ صَاحِبِي هَذَا قَدِ ابْتَاعَ هَذِهِ الدَّارَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ دَارًا مِنْ دَوْرِ الْجَنَّةِ ، فَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ . ثُمَّ إِنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَدَعَاهُ وَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا ، فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ : إِنِّي تَزَوَّجْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ بِأَلْفِ دِينَارٍ قَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : يَا رَبِّ إِنَّ صَاحِبِي تَزَوَّجَ امْرَأَةً بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ امْرَأَةً مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ ، فَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ . ثُمَّ اشْتَرَى بُسْتَانَيْنِ بِأَلْفَيْ دِينَارٍ ، ثُمَّ دَعَاهُ فَأَرَاهُ ، فَقَالَ : إِنِّي ابْتَعْتُ هَذَيْنِ الْبُسْتَانَيْنِ ، فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : يَا رَبِّ إِنْ صَاحِبِي قَدِ اشْتَرَى بُسْتَانَيْنِ بِأَلْفَيْ دِينَارٍ ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ بُسْتَانَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ ، فَتَصَدَّقَ بِأَلْفَيْ دِينَارٍ . ثُمَّ إِنَّ الْمَلَكَ أَتَاهُمَا فَتَوَفَّاهُمَا ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهَذَا الْمُتَصَدِّقِ فَأَدْخَلَهُ دَارًا تُعْجِبُهُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَطْلَعُ يُضِيءُ مَا تَحْتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ بُسْتَانَيْنِ ، وَشَيْئًا - اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ - فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : مَا أَشْبَهَ هَذَا بَرْجَلٍ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : فَإِنَّهُ ذَاكَ ، وَلَكَ هَذَا الْمَنْزِلُ وَالْبُسْتَانَانِ وَالْمَرْأَةُ . قَالَ : فَإِنَّهُ كَانَ لِي صَاحِبٌ يَقُولُ : ( أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ) قِيلَ لَهُ : فَإِنَّهُ فِي الْجَحِيمِ . قَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ؟ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : ( تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) . . . . الْآيَاتِ .

\* وَقَوْلُهُ ( أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ) يَقُولُ : أَئِنَّا لَمُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بَعْدَ مَصِيرِنَا عِظَامًا وَلُحُومِنَا تُرَابًا .

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: 50]

[وفي تفسير المنار ج8 ص: 391] يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَالَةَ الْآخِرَةِ تَقْتَضِي إِمْكَانَ إِفَاضَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمَاءَ وَغَيْرَهُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ عَلَى مَا بَيْنَ الْمَكَانَيْنِ مِنَ الِارْتِفَاعِ وَالِانْخِفَاضِ، وَمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ يَشْمَلُ الطَّعَامَ وَغَيْرَ الْمَاءِ مِنْ أَشْرِبَةٍ. وَالْمَعْنَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَسْتَجْدُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَنْ يُفِيضُوا عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُونَ بِهَا مِنْ شَرَابٍ وَطَعَامٍ ، وَقَدَّمُوا طَلَبَ الْمَاءِ لِأَنَّ مَنْ كَانَ فِي " سُمُومٍ وَحَمِيمٍ " يَكُونُ شُعُورُهُ بِالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْبَارِدِ أَشَدَّ مِنْ شُعُورِهِ بِالْحَاجَةِ إِلَى الطَّعَامِ الطَّيِّبِ .

\* رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الِاسْتِجْدَاءِ: يُنَادِي الرَّجُلُ أَخَاهُ فَيَقُولُ : يَا أَخِي أَغِثْنِي فَإِنِّي قَدِ احْتَرَقْتُ فَأَفِضْ عَلَيَّ مِنَ الْمَاءِ، فَيُقَالُ : أَجِبْهُ ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ. وَعَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي الطَّلَبِ قَالَ: يَسْتَسْقُونَهُمْ وَيَسْتَطْعِمُونَهُمْ - وَفِي قَوْلِهِ : ( حَرَّمَهُمَا ) قَالَ: طَعَامَ الْجَنَّةِ وَشَرَابَهَا .

\* وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ الزُّهْدِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَرِبَ مَاءً بَارِدًا فَبَكَى فَسُئِلَ مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ ذَكَرْتُ آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ ( وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ) فَعَرَفْتُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَشْتَهُونَ إِلَّا الْمَاءَ الْبَارِدَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ مَاءَ الْجَنَّةِ وَرِزْقَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ كَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ دُخُولَهَا، فَلَا يُمْكِنُ إِفَاضَةُ شَيْءٍ مِنْهُمَا عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي النَّارِ، فَإِنَّ لَهُمْ مَاءَهَا الْحَمِيمَ وَطَعَامَهَا مِنَ الضَّرِيعِ وَالزَّقُّومِ .

وَذَكَرُوا مِنْ وَصْفِ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا سَبَبَ هَذَا الْحِرْمَانِ ، وَهُوَ أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ أَعْمَالًا لَا تُزَكِّي الْأَنْفُسَ فَتَكُونُ أَهْلًا لِدَارِ الْكَرَامَةِ، بَلْ هِيَ إِمَّا لَهْوٌ وَهُوَ مَا يُشْغِلُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْجِدِّ وَالْأَعْمَالِ الْمُفِيدَةِ بِالتَّلَذُّذِ بِمَا تَهْوَى النَّفْسُ، وَإِمَّا لَعِبٌ وَهُوَ مَا لَا تُقْصَدُ مِنْهُ فَائِدَةٌ صَحِيحَةٌ كَأَعْمَالِ الْأَطْفَالِ، وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَكَانَ كُلُّ هَمِّهِمُ التَّمَتُّعَ بِشَهَوَاتِهَا وَلِذَّاتِهَا - حَرَامًا كَانَتْ أَوْ حَلَالًا - لِأَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ عِنْدَهُمْ لِذَاتِهَا، وَأَمَّا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَهُمُ الَّذِينَ سَعَوْا لَهَا سَعْيَهَا بِأَعْمَالِ الْإِيمَانِ الَّتِي تُزَكِّي الْأَنْفُسَ وَتُرَقِّيهَا فَلَمْ يَغْتَرُّوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا. بَلْ كَانَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ مَزْرَعَةَ الْآخِرَةِ لَا مَقْصُودَةً لِذَاتِهَا لِذَلِكَ كَانُوا يَقْصِدُونَ بِالتَّمَتُّعِ بِنِعَمِ اللَّهِ فِيهَا الِاسْتِعَانَةَ بِهَا عَلَى مَا يُرْضِيهِ مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ وَعَمَلِ الْخَيْرِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ (فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) وَالْمُرَادُ : نُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْمَنْسِيِّ الَّذِي لَا يَفْتَقِدُهُ أَحَدُكُمَا كَمَا جَعَلُوا هَذَا الْيَوْمَ مَنْسِيًّا أَوْ كَالْمَنْسِيِّ بِعَدَمِ الِاسْتِعْدَادِ وَالتَّزَوُّدِ لَهُ.

وقال تعالى: إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ سورة ص

( وفي تفسير تفسير البيضاوي، سورة ص) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ حِكَايَةُ مَا يُقَالُ لِلرُّؤَسَاءِ الطَّاغِينَ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ وَاقْتَحَمَهَا مَعَهُمْ فَوْجٌ تَبِعَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَالِاقْتِحَامُ رُكُوبُ الشِّدَّةِ وَالدُّخُولُ فِيهَا. لا مَرْحَبًا بِهِمْ دُعَاءٌ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ. إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ دَاخِلُونَ النَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ مِثْلَنَا. قَالُوا أَيِ الْأَتْبَاعُ لِلرُّؤَسَاءِ. بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمَا قُلْتُمْ، أَوْ قِيلَ لَنَا لِضَلَالِكُمْ وَإِضْلَالِكُمْ كَمَا قَالُوا: أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا قَدَّمْتُمُ الْعَذَابَ أَوِ الصِّلِيَّ لَنَا بِإِغْوَائِنَا وَإِغْرَائِنَا عَلَى مَا قَدَّمْتُمُوهُ مِنَ الْعَقَائِدِ الزَّائِغَةِ وَالْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ. فَبِئْسَ الْقَرَارُ، فَبِئْسَ الْمَقَرُّ جَهَنَّمُ. قَالُوا أَيِ الْأَتْبَاعُ أَيْضًا. رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ مُضَاعَفًا أَيْ ذَا ضِعْفٍ وَذَلِكَ أَنْ يَزِيدَ عَلَى عَذَابِهِ مِثْلَهُ فَيَصِيرَ ضِعْفَيْنِ كَقَوْلِهِ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ.

(وفي تفسير السعدي ج7 ص 1501) هَذَا الْمِهَادُ، هَذَا الْعَذَابُ الشَّدِيدُ، وَالْخِزْيُ وَالْفَضِيحَةُ وَالنَّكَالُ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ مَاءٌ حَارٌّ، قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، يَشْرَبُونَهُ فَيُقَطِّعُ أَمْعَاءَهُمْ. وَغَسَّاقٌ وَهُوَ أَكْرَهُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّرَابِ، مِنْ قَيْحٍ وَصَدِيدٍ، مُرُّ الْمَذَاقِ، كَرِيهُ الرَّائِحَةِ. وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَيْ: مِنْ نَوْعِهِ أَزْوَاجٌ أَيْ: عِدَّةُ أَصْنَافٍ مِنْ أَصْنَافِ الْعَذَابِ، يُعَذَّبُونَ بِهَا وَيُخْزَوْنَ بِهَا. وَعِنْدَ تَوَارُدِهِمْ عَلَى النَّارِ يَشْتُمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ النَّارَ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ. قَالُوا أَيِ: الْفَوْجُ الْمُقْبِلُ الْمُقْتَحِمُ: بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ أَيِ: الْعَذَابُ لَنَا بِدَعْوَتِكُمْ لَنَا، وَفِتْنَتِكُمْ وَإِضْلَالِكُمْ وَتَسَبُّبِكُمْ. فَبِئْسَ الْقَرَارُ قَرَارُ الْجَمِيعِ، قَرَارُ السُّوءِ وَالشَّرِّ. ثُمَّ دَعَوْا عَلَى الْمُغْوِينَ لَهُمْ، فَـ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ

\* وَقَالُوا وَهُمْ فِي النَّارِ "مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ" أَيْ: كُنَّا نَزْعُمُ أَنَّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ، الْمُسْتَحِقِّينَ لِعَذَابِ النَّارِ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، تَفَقَّدَهُمْ أَهْلُ النَّارِ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ - هَلْ يَرَوْنَهُمْ فِي النَّارِ؟ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ أَيْ: عَدَمُ رُؤْيَتِنَا لَهُمْ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنَّنَا غَالِطُونِ فِي عَدِّنَا إِيَّاهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ، بَلْ هُمْ مِنَ الْأَخْيَارِ، وَإِنَّمَا كَلَامُنَا لَهُمْ مِنْ بَابِ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ: إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ.

\* وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ لَعَلَّهُمْ زَاغَتْ أَبْصَارُنَا عَنْ رُؤْيَتِهِمْ مَعَنَا فِي الْعَذَابِ وَإِلَّا فَهُمْ مَعَنَا مُعَذَّبُونَ وَلَكِنْ تَجَاوَزَتْهُمْ أَبْصَارُنَا، فَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ فَتَكُونُ الْعَقَائِدُ الَّتِي اعْتَقَدُوهَا فِي الدُّنْيَا وَكَثْرَةُ مَا حَكَمُوا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِالنَّارِ تَمَكَّنَتْ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَصَارَتْ صِبْغَةً لَهَا فَدَخَلُوا النَّارَ وَهُمْ بِهَذِهِ الْحَالَةِ فَقَالُوا مَا قَالُوا. قَالَ تَعَالَى مُؤَكِّدًا مَا أَخْبَرَ بِهِ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ لَحَقٌّ مَا فِيهِ شَكٌّ وَلَا مِرْيَةٌ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ

(وفي تفسير الماوردي ج5) أَنَّ كِلَا الْفَوْجَيْنِ بَنُو آدَمَ إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ الرُّؤَسَاءُ وَالثَّانِي الْأَتْبَاعُ.

\* وَفِي الْقَائِلِ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الْمَلَائِكَةُ قَالُوا لِبَنِي إِبْلِيسَ لَمَّا تَقَدَّمُوا فِي النَّارِ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ إِشَارَةٌ لِبَنِي آدَمَ حِينَ دَخَلُوهَا. قَالَ بَنُو إِبْلِيسَ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ قَالُوا أَيْ بَنُو آدَمَ: بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلْفَوْجِ الْأَوَّلِ حِينَ أَمَرَ بِدُخُولِ الْفَوْجِ الثَّانِي: هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ فَأَجَابُوهُ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ، فَأَجَابَهُمُ الْفَوْجُ الثَّانِي بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ.

وقال الله تعالى: قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿القصص: ٦٣﴾

(وفي تفسير القاسمي ج13 ص: 4719) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ أَيْ: وَجَبَ وَثَبَتَ مُقْتَضَاهُ. وَهُوَ لُحُوقُ الْوَعِيدِ بِهِمْ. وَالْمُرَادُ بِهِمْ، رُؤَسَاءُ الضَّلَالِ، وَقَادَةُ الْكُفْرِ وَالْفَسَادِ: رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَيْ: أَضْلَلْنَاهُمْ. قَالَ أَبُو السُّعُودِ: وَمُرَادُهُمْ بِالْإِشَارَةِ، بَيَانُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ بِمَحْضَرٍ مِنْهُمْ. وَأَنَّهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى إِنْكَارِهِ وَرَدِّهِ: أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا أَيْ: أَضْلَلْنَاهُمْ بِالْوَسْوَسَةِ وَالتَّسْوِيلِ، كَمَا ضَلَلْنَا بِاخْتِيَارِنَا، وَإِيثَارِ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى: تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ أَيْ: مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي. أَوْ مِنْهُمْ وَمِمَّا اخْتَارُوهُ: مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ أَيْ: بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ: وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ لِيَشْفَعُوا لَكُمْ: فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ أَيْ: تَمَنَّوْا ذَلِكَ لِيُنْقَذُوا مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ:

(وفي تفسير الكشاف ج4 ص: 519) الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ الشَّيَاطِينُ أَوْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَرُؤُوسُهُ . وَمَعْنَى حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ : وَجَبَ عَلَيْهِمْ مُقْتَضَاهُ وَثَبَتَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [هُودَ : 119 ]

\* كَمَا غَوَيْنَا ، يَعْنُونَ : أَنَّا لَمْ نُغْوَ إِلَّا بِاخْتِيَارِنَا ، لَا أَنَّ فَوْقَنَا مُغْوِينَ أَغْرَوْنَا بِقَسْرٍ مِنْهُمْ وَإِلْجَاءٍ . أَوْ دَعَوْنَا إِلَى الْغَيِّ وَسَوَّلُوهُ لَنَا ، فَهَؤُلَاءِ كَذَلِكَ غَوَوْا بِاخْتِيَارِهِمْ ؛ لِأَنَّ إِغْوَاءَنَا لَهُمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا وَسْوَسَةً وَتَسْوِيلًا لَا قَسْرًا وَإِلْجَاءً، فَلَا فَرْقَ إِذًا بَيْنَ غَيِّنَا وَغَيِّهِمْ. وَإِنْ كَانَ تَسْوِيلُنَا دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الْكُفْر، فَقَدْ كَانَ فِي مُقَابَلَتِهِ دُعَاءُ اللَّهِ لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِمَا وُضِعَ فِيهِمْ مِنْ أَدِلَّةِ الْعَقْلِ، وَمَا بُعِثَ إِلَيْهِمْ مِنَ الرُّسُلِ وَأُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الْمَشْحُونَةِ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْمَوَاعِظِ وَالزَّوَاجِرِ، وَنَاهِيكَ بِذَلِكَ صَارِفًا عَنِ الْكُفْرِ وَدَاعِيًا إِلَى الْإِيمَانِ. وَهَذَا مَعْنَى مَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنِ الشَّيْطَانِ "وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ" والله المستعان.